

تفسير ابن كثير

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ^ط وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ^ط إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ^ط وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

يقول تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ممن قال منهم بأن المسيح هو الله ، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوا كبيرا . هذا وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله ، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال : (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) ولم يقل : أنا الله ، ولا ابن الله . بل قال : (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) إلى أن قال : (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) [مريم : 30 - 36] . وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته ، آمرا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له ؛ ولهذا قال تعالى : (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله) أي : فيعبد معه غيره (فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) أي : فقد أوجب له النار ، وحرم عليه الجنة ، كما قال تعالى : (إن

الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء : 48 ، 116] ، وقال تعالى : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) [الأعراف : 50] . وفي الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مناديا ينادي في الناس : " إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة " ، وفي لفظ : " مؤمنة " . وتقدم في أول سورة النساء عند قوله : (إن الله لا يغفر أن يشرك به) [النساء : 48 ، 116] حديث يزيد بن بابنوس ، عن عائشة : الدواوين ثلاثة فذكر منهم ديوانا لا يغفره الله ، وهو الشرك بالله ، قال الله تعالى : (من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة [ومأواه النار]) الحديث في مسند أحمد . ولهذا قال [الله] تعالى إخبارا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) أي : وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه .